الباراسايكولوجي والإعجاز العلمي في الفكر الاسلامي

بحث مقدم من

الأستاذ المساعد

الدكتور رعد شمس الدين الگيلاني

كلية العلوم الإسلامية / جامعة بغداد

الباراسايكولوجي والإعجاز العلمي في الفكر الاسلامي

ملخّص البحث

يسلط البحث الضوء على موضوع الباراسايكولوجي باعتباره مجالاً مهماً لعرض القضايا الغيبية بخطاب علمي معاصر وقد حاول الباحث أن يتتبع مسار هذا المجال في الدراسات الغربية وعرض الباراسايكولوجي الذي حدث حوله خلاف كبير بين أنصاره وعلماء العلوم الطبيعية وخاضوا معارك طويلة الأمد لأكثر من قرن من الزمان والباراسايكولوجي كلمة تعني (علم النفس الابتدائي) وهي لا تنطبق مع حقيقة هذا العلم ولذلك حاول البعض أن يطلق عليه أسماء أخرى مثل (الساي) وهو وحدة قياس النشاط الطاقي للأشياء والموجودات. وكذلك أطلق عليه الميتافيزيقيا أو ما وراء الطبيعية ولكن الأمر استقر في النهاية على الباراسايكولوجي. ونحن نحاول أن ننتصر للإسلام والمفاهيم الدينية بخطاب علمي معاصر. ويوظف الباراسايكولوجي وما حدث من تطور لهذا العلم في البيئة الغربية فناقش الباحث قضايا عَجَزَ عن إدراكها وتفسيرها العلم الحديث ووظف هذه المواضيع لإثبات حقائق الدين والإيمان وكما هو معلوم بأن الكون يمثل الكتاب المنظور للهداية الإيمانية في حين يمثل القرآن الكتاب المقرء والجمع بين القراءتين هي وظيفة العلماء في العصر الحديث لأن الكون كله معجزات أو كما يقول الإمام الغزالي: «المعجزات كلها طبيعية لأن الطبيعة كلها معجزات»[1]. فكانت قضايا الموت والسحر والحسد تؤكد حقيقة استمرار إعجاز القرآن إلى الأبد.

[1] الإسلام بين الشرق والغرب، د. علي عزت بيجوفتش، ص٤٥.

تقديم:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

منذ أن ظهر الباراسايكولوجي(*) في البيئة كظاهرة علمية حقيقية واقعية واجه مشكلات عديدة شككت في علميته وانتمائه لمجموعة العلوم السائدة في عصر النهضة ولم تتوقف عملية التشكيك في علمية الباراسايكولوجي وإنما تطرق التشكيك إلى حقيقة وجوده مما أضطر المدافعين عن الباراسايكولوجي إلى الخوض في معركة معقدة وطويلة الأمد دافعوا فيها عن حقيقة الظاهرة وعن طرق إثباتها وتفسيرها.

وكما هو معروف أن البيئة الغربية التي وجد فيها العلم الحديث، ونما وتطور على أنقاض الصراع بين الدين والعلم، أسقطت هذا الصراع وخلفياته على الباراسايكولوجي. فأنكرت المادية ومنهجها العلمي الذي هيمن على العقل الغربي أي وجود للروح. أو أي خارق للعادة (ميتافيزقيا). وبما إن الباراسايكولوجي حدوده خارج المادة فإنه يتحرك خارج مجال العلم. من هنا بدأت المعركة بين الباراسايكولوجيين وأعدائهم ويصف جان باري هذه المعركة بقوله: «خرجت الميتافيزيقيا منتصرة من حرب طويلة دامت مائة عام إذ بدأت عام ١٨٧٦... واستمرت المعركة بعد الحرب الأولى ١٩١٤-١٩١٨ وقام أحد الأنصار بإنشاء المعهد الميتافيزيقي الدولي في باريس (مؤسسة جان ماير)... وجاءت الباراسايكولوجية الكمية بعد الميتافيزيقيا الرومانسية وذلك باستخدام سلاح الرياضيات وكان ذلك عام ١٩٥٨ بالتحديد باستخدام حساب الاحتمالات التي هي التعبير العالي للمادية الحديثة.. وقد وجَّه لنا البروفيسور هانزل اتهاماً بأننا: أعضاء مؤامرة من المزيفين.. والأدهى من ذلك نرى أن (ماك جيل هيب) لم يتردد أن يقول: «إن فكرة الظواهر الباراسايكولوجية كانت عبثية فتصوروا مصيرنا إذا ما قام هؤلاء

الأشخاص بأسرنا باسم محاكم التفتيش الجديدة.

رغم ذلك استمررنا في النضال»[١]. كل هذه المعاناة التي ذكرها جان باري كانت بسبب وضع الباراسايكولوجي الذي واجهه العلماء الماديون على إنه صورة عصرية للدين، فكانت ذكريات الصراع بين الدين والعلم أو الكنيسة والعلم على وجه التحديد تستعاد مع ذكر الروح واللامادية والإيمان حيث كانت هذه المسميات ترتبط بالباراسايكولوجي ارتباطاً إستراتيجياً. ويعرف شارل ريشيه الميتافيزيقيا: «إنها دراسة القوى التي تبدو ذكية وخصائص النفس المجهولة»[٢]. وعندما يحاول الباراسايكولوجيون عرض موضوعهم بواسطة لغة العلم المادي ويحاولون تطبيق الباراسايكولوجي بقوله: «لكن ذلك سيجرنا للحديث عن الباراسايكولوجية وكل العالم يعرف بأنه ليس هناك من شيء جاد ليقال»[٣]. ويرد أنصار الميتافيزيقيا على هذه الانتقادات من خلال عرض رؤية كلية وشاملة تربط بين الحكمة في وجود الإنسان في هذا الكون وبين أسرار الوجود.

ويتوقع العلماء استناداً إلى التطور العلمي في مجالات الحياة الإنسانية يتوقع هؤلاء أن يأتي الوقت المناسب لاكتشاف أسرار ظاهرة الباراسايكولوجي ويعولون على قدرة الإنسان العقلية في فك رموز الظاهرة وبسبب عقدة الصراع بين الدين والعلم يرفض المتخصصون في الباراسايكولوجي أن يلغوا العلاقة بين العلم والظاهرة، ويذكرون أن هذا المجال العلمي تطور من الميتافيزيقيا الرومانتيكية القديمة إلى الباراسايكولوجيا، ثم إلى السايكترونيا، ويتوقعون تطورات راديكالية تجعل من هذا العلم علم المستقبل.

ويقول شارل ريشيه: «فنحن نشعر بحيرة كبيرة لما سيؤول إليه الأمر من تقدم جديد في الفيزياء والفيزيولوجيا هكذا يتم حدوث الأشياء في حين إن فيزيولوجيا وبيولوجيا جديدة ستحمل قريباً أسباب تأمل اكتشاف جديد قادم حول ميكانزمات ظواهر الباراسايكولوجي»[٤].

وفي هذا البحث المتواضع نحاول أن نساهم برؤية للباراسايكولوجي تستند إلى التفسير الديني للظاهرة مع ربط هذا التفسير بمفهوم العلم المادي وما وصل إليه العلم في مجالاته التي أخضعها للتجربة والمختبر.

في محاولة للتعرف على حقيقة الباراسايكولوجيا التي مازال يكتنفها الغموض والحيرة وكل خطوة في هذا المجال يمكن أن تكون سبباً من أسباب الوصول إلى الحقيقة العلمية التي تخدم المعرفة البشرية والإنسانية. وهذه المحاولة هي توظيف لخطاب العصر العلمي لخدمة النص القرآني وضم الباراسايكولوجي إلى خطاب الإعجاز العلمي الذي يخدم إثبات حقائق الدين والإيمان عن طريق لغة العلم الحديث والتي تمثل خطاب العصر.

أولاً: <u>الباراسايكولوجي في مجال العلم المادي</u>

تخضع الحضارة الغربية لسلطان العلم التجريبي منذ عصر النهضة. حيث دحضت الأفكار في القرون الوسطى التي كانت تبرر للظلم الاجتماعي وقمع الفكر والحرية وكانت تتحرك بالخرافة والأسطورة. وبعد هذا الانتصار الذي حققه العقل العلمي على العقل الخرافي الغيبي ظهرت النزعة العلمية المادية التي تؤكد أن لا وجود إلا للمادة وأن الأشياء جميعاً قابلة للتفسير بلغة المادة فحسب. وتبلورت هذه النظرة حول حقيقتين يعتقد بهما العقل العلمي الغربي هما:-

١- أن أصل الكون مادة ولا شيء غير المادة.

٢- أن هذه المادة خالدة وأزلية.

ومظاهر الوجود عبارة عن تغيرات مادية خاضعة للصدفة فحسب، ولا مجال لإدخال أهداف غيبية أو علة مسببة للكون. ويصور (برتراند رسل) هذه القضية حول

مكانة الإنسان في النظرة المادية بقوله: «لأن يكون الإنسان نتاج أسباب لا تملك العدة اللازمة لما تحققه من غايات، ولأن يكون منشؤه ونموه وآماله ومخاوفه وصبواته ومعتقداته مجرد حصيلة ارتصاف ذرات عرضي، ولأن تعجز أي حماسة مشوبة أو بطولة، أو أي حدة في التفكير أو الشعور عن الإبقاء على حياة فرد واحد فيما وراء القبر؛ ولأن يكون الاندثار هو المصير المحتوم لكل عناء الأجيال ولكل التفاني ولكل عبقرية الإنسان المتألقة تألق الشمس في رابعة النهار. كل هذه الأمور إن لم تكن حقاً غير قابلة للجدل فإنها مع ذلك تقترب من اليقين إلى حد يستحيل معه الحقائق وعلى أساس راسخ من القنوط المقيم»[٥].

ومع تطور العلوم ونضوج النظرة العلمية تبلورت نظرة جديدة تحاول إعادة النظرة القديمة المادية إلى التوازن، والإيمان بالثنائية الوجودية وأن الكون ليس مادة فحسب وبذلك يقول الفيزيائي هنري مارجينو: «إن العقيدة الأساسية للمذهب المادي هي أن الحقيقة كلها تكمن في المادة، وهذا رأي كان مقبولاً بعض القبول في آخر القرن الماضي – أي القرن التاسع عشر – غير إن أموراً كثيرة حدثت في هذه الأثناء تكذب هذا الرأي»[٦]. كما يعلن الفيزيائي هايزنبيرغ أن الفيزياء الذرية المعاصرة قد نأت بالعلم عما كان يتسم به من اتجاه مادي في القرن التاسع عشر»[٧]. وبالإمكان متابعة النظرة المادية وتاريخ حركة العقل الغربي من خلال اتجاهين:

اتجاه أصل المادة، واتجاه أصل الحياة.

١- **<u>اتجاه أصل المادة</u>:** يرجع أصل المادة الكونية والوجود إلى الذرات وكما هو معروف أن فكرة الذرة قديمة وقد عرَّفها الفلاسفة القدماء من خلال فكرة الجزء الذي لا يتجزأ، وهو الجوهر الأصلي لمادة الوجود وحاول الفلاسفة الإغريق تفسير الحركة والوجود فقالوا بأجزاء دقيقة وفراغ. ويقول ديمقريط: «إننا نتكلم عن الحلو

والمر والبارد ونتكلم عن اللون ولكنه ليس هناك حقاً إلا الذرات والفراغ»[٨]. وتطور وتطور مفهوم الذرة حتى وصل في القرن الثامن عشر إلى مرحلة علمية تجريبية تختلف عن التصورات العقلية التي أنتجتها الفلسفة اليونانية، فقد توصل الكيميائيون الذين ألهمتهم فكرة ديمقريط الذرية إلى أن قوانين اتحاد الأجسام تبدوا كما لو كانت تترجم تجزؤاً في المادة، وهكذا بعد عشرين قرناً ولدت الذرة (حبة المادة) من جديد ولكن على أسس تجريبية رياضية.

وكانت الذرة في رأي ديمقريط لا تتجزأ صماء البناء مصمتة (لا فراغ فيها)، ولكنها في القرن العشرين تحولت إلى كيان يتفتت في أيدي الفيزيائيين وأنها لم تعد المحطة الأخيرة للمادة فقد تم اكتشاف العديد من الجسيمات سواء تلك التي تملك كتلاً معينة أو التي لا تملك أية كتلة أمثال: البروتون والنيترون والإليكترون والميزون والنيوترينو، ولا تزال عمليات الاكتشاف جارية ومستمرة وبعض هذه الجسيمات تدخل في بناء الذرة وتشكيلها وبعضها الآخر لا يظهر إلا في التفاعلات الداخلية للذرة أو التفاعلات بين الذرات والبعض الآخر في الإشعاع الكوني الذي ينهال علينا من الفضاء وباختصار يمكننا القول: إن المادة تشبه بئراً عميق الغور لا يبدو لها قرار فكلما توغلنا فيها وكلما تعمقنا لا نصل ولا ندرك نهايتها»[٩] هذه الذرة التي كان يعتقد أنها أصغر جزء في المادة، تغير هذا الاعتقاد واكتشف أنها تحوي في داخلها على أجزاء أصغر منها ومن نواتها مما يؤكد أننا نعيش في عالم الفراغ فإن قطر الذرة (١٠)$^{-٨}$سم تتمركز فيها نواة حول هذه النواة إليكترونات تدور بمدارات محكوم عددها بقانون يحفظ توازن الذرة ويحدد هوية العنصر الذي تكوَّن جزيئاته هذه الذرات. ويقدر حجم النواة بـ(١٠)$^{-١٣}$سم وإذا ما قارناه مع قطر الذرة فإننا نلاحظ أن النواة تشغل حيزاً يبلغ ١/١٠٠٠٠٠ فقط من حجم الذرة.

ولو شبهنا الذرة بكرة ثم قمنا بملئها تماماً بنوى الذرات لاحتجنا إلى $١٠^{١٥}$ من هذه النوى ولو أخذنا سم^{٣} من الماء (ملعقة شاي) نجد إن وزنه يساوي غراماً واحداً فلو فرضنا أن هذه الكمية القليلة من الماء مملوءة تماماً بنوى الأوكسجين والهيدروجين دون أن يبقى هناك أي فراغ على الإطلاق فإنا سنجد أن حجم ١سم^{٣} من الماء الذي كان يزن غراماً واحداً سيبلغ $١٠^{١٥}$غم أي مليار طن ومثل هذه الكثافة لا يمكن مشاهدتها إلا في النجوم النيوترونية(١٠). هذه الأسرار التي تتكشف بتطور التقنيات العلمية والتي فتحت آفاق النظر حول أصل المادة ابتداءً من الذرة إلى الجسيمات الصغيرة التي بداخلها يعلق الباراسايكولوجيون بعض أفكارهم على احتمالية الوصول إلى معلومات تفتح الطريق لفهم آلية عمل القوى الباراسايكولوجية.

إن اكتشاف الذرة والنواة والإليكترون والبروتون وغيرها من مكونات الذرة والعمل المستمر في البحث عن مكونات الذرة التي تدفع العقل العلمي باتجاه تحقيق الخيال العلمي الذي كان يغذي الإعلام العلمي ويفتح قريحة العلماء نحو اكتشاف المجهول. كل ذلك كان يقود إلى اكتشاف المزيد من أسرار الذرات واصل المادة ويبدو إن هذه الأسرار لا حدود لها ضمن حدود العقل البشري.

ففي عام ١٩٣٠ نشرت نظرية تنبأت بوجود أضداد الجسيمات وأول هذه الأضداد هو (الإليكتروني الموجب) وقد شوهد هذا الإليكترون وحددت شخصيته في عام ١٩٣٣.

ثم تطور الأمر إلى (ضد البروتون وضد النيوترون) ويتوقع العلماء في مجال أضداد الجسيمات إمكانية وجود أو تكوين (ضد النواة السالب) وعن طريق اتحاد هذه الأضداد، حتى يكون (ضد النواة السالب) هذا مع الإليكترونات الموجبة

(ضد الذرة) ما يسمى بـ(ضد المادة) والتي يعول عليها الباراسايكولوجيين في توضيح حقيقة الظاهرة وتأثير القوى الخارقة.

٢- **<u>في مجال أصل الحياة</u>:** تعد الخلية أصغر جزء حي ومن مجموع هذه الخلايا يتكون الجسم الحي. والمعروف أن جميع المواد حية وغير حية تتألف من وحدات أساس معينة هي الذرات وتتحدد هذه الذرات مع بعضها لتكوين أنواع مختلفة من الجزيئات وتتحد الجزيئات بصورة متوافقة لتكون بداية الأنظمة الحية والتي تسمى البروتينات وهي أعقد الجزيئات غير الحية وأكبرها في الحجم والفعالية الكيمياوية، وتقترب هذه البروتينات من الفيروسات أصغر الأنظمة الحية حجماً وفوق مستوى الفيروسات تبنى المادة الحية ووحدات يطلق عليها الخلايا، ومع إن بعض العلماء يعد الفيروسات من الأنظمة غير الحية ولكن غالبية العلماء يتفقون على إن الفيروسات هي قطع من المادة الوراثية معادلة إلى أجزاء من كروموسومات الكائنات الخلوية وغالبية العلماء يعدها أحياء مجهرية.

إن تعقيد التنظيم الفيزياوي والكيمياوي للحياة يمكن من حدوث عدد من العمليات الأساس بأسلوب منتظم ومرتب في جميع الأنظمة الحية. وكل الأحياء لها القدرة على أخذ مواد غير حية وتحويلها إلى جزء من الجهاز الحي وتملك الأنظمة الحية القدرة على تحويل وإنتاج الطاقة أو ما يسمى بالبناء الذاتي (Auto synthesis) وهي صفة عامة لجميع الأنظمة الحية من الفيروسات إلى الإنسان.

ولا يوجد نظام غير حي بمقدوره إظهار (خواص التخليق الذاتي)[١١] وهناك خاصية غريبة أخرى للحياة هي قدرتها على التكاثر (Reproduction) إن الحياة تنطوي على مبادئ الفيزياء والكيمياء لكنها تفوقهما وتنتج مبادئ بيولوجية أعلى غير قابلة للاختزال والتبسيط. إن التفسير الردي – الآلي

(Reductionisms Mechanists) تزودنا لفهم هائل للوحدات الفيزياوية والكيمياوية والميكانيكيات المتفردة داخل الأنظمة الحية لكن حين تعميمه تصاعدياً على هرم التنظيم البيولوجي نجده يفتقر إلى القوة التفسيرية كما أنه يتجاهل أهم صفة متميزة للوجود ألا وهي مظاهر الحياة التي تتسم بالاستقلالية والهدفية أو الغائية والترتيب الذاتي والتنظيم الذاتي والتقولب الزمني..)[١٢].

تتميز الخلية الحية بالتعقيد في وظائفها ومكوناتها مما يجعل تبسيط المعلومات حولها أمراً في غاية الصعوبة، ففي كل خلية حية هناك قدرة على إنتاج المادة الحية والتي تسمى ماكرومولكيول (Macromolecule) وهذه العملية تتطلب اتحاد وتحفيز لتحريك التفاعل الكيميائي وهذه المحفزات تدعى بالأنزيمات، وكل أنزيم له وظيفة محددة، والعنصر الأساسي في هذا النظام جزئ ضخم بروتيني على درجة بالغة من التعقيد يدعى الحمض النووي الرايبوري اللاأوكسجيني DNA ويكون هذا العنصر في النواة وفي البكتريا التي لا تحتوي على نواة يكون متصلاً مباشرةً بمادة الخلية السايتوبلازم وعندما يكون هذا الحامض في النواة، فإن معناه أنه يتدخل بشكل غير مباشر فقط في عملية تخليق المادة الحية. ويقوم الحامض النووي الريبوزي RNA بنقل الرسائل في عملية التفاعلات، ويكون الـ DNA في الخلية على شكل سلاسل مضغوطة يقال حجمها بـ ١/١٠٠٠ ملم ففي حالة البكتريا يكون شريط الـ DNA بطول يقاس بالمليمترات وهو في هذه الحالة قصير جداً ولكنه يمثل طولاً ضخماً بالنسبة لبكتريا حجمها أقل بآلاف المرات من شريط الـ DNA الذي تحمله. وفي حالة الإنسان يكون شريط الـ DNA الموجود في إنسان واحد فإنه أطول من المسافة التي تفصل بين الأرض والشمس)[١٣] هذه الخلية المعقدة في وظائفها وبنائها تعد معجزة تتحدى عقل الإنسان في عملها ووجودها.

فإن السؤال الذي لا يملك العلماء له إجابة هو كيف تدب الحياة في الخلية المكونة من المواد غير الحية؟ هذا هو السر الذي تاهت فيه عقول العلماء ومع تعذر الإجابة عن أصل الحياة ومصدر وجودها في الخلية وكيفية ارتباطها بالمادة هناك أسئلة أخرى لا إجابة عليها داخل الخلية وما فيها من تعقيدات ففي داخل الخلية جسيمات تحوي برامج معقدة كبرامج الحاسبة، وهذه البرامج قد صممت بدقة لتحافظ على النوع وعلى صفاته الوراثية ويحاول الباراسايكولوجيون تفسير مظاهر الحياة في داخل الخلية وبين الخلايا على أساس ميتافيزيقي يستجيب لنبضات وترددات ترسلها الخلايا فتحدث استجابات واعية تعبِّر عن سلوك راقي حتى بين الفيروسات والأحياء ذات الخلية الواحدة. حيث تؤكد تجارب كير فتش التي أطلق عليها (إشعاع النمو الخيطي) تؤكد هذه التجارب أن المادة الحية وعلى وجه الخصوص الدم يرسل إشعاعاً له فعل منشط للانقسام الخلوي غير المباشر[١٤].

وبهذا الخصوص كتب الدكتور بونيمة في ليون بمجلة طبية في نيسان ١٩٢٤ ما يلي: «لم أستبعد الإيمان بأن وظيفة وجودنا الفيزياوي وهذه الظواهر الخاصة بالإرسالات الإليكترومغناطيسية للجسم البشري (طالما هناك قوى) تمس النفس أكثر مما يمس الجسد ذاته، إذ تشترك النفس بذلك وأعتقد أن الجسم البشري هو أفضل أداة لتأكيد القوى المجهولة»[١٥]، وبذلك يندفع الباراسايكولوجيون باتجاه إثبات العالم اللامادي من خلال الانعكاس الواعي للسلوكيات التي تقوم بها الذرات وأجزاؤها والخلايا الحية وأفعالها في داخل الخلية ومع الخلايا الأخرى في الخارج.

ويستخدم هؤلاء مجالات الهندسة الوراثية والتلاعب بالجينات ويتحدثون عن تجارب تلقيح أنثى القرد بحيمن رجل لإنتاج قرود شبيهة بالإنسان.

وهذه المحاولات تعبِّر عن الاضطراب والحيرة أمام الأسرار والمعضلات التي تواجه العلماء بدون تفسير أو حلول وعلماء الباراسايكولوجي يشتركون مع العلماء الآخرين في طريقة تعبيرهم عن طبيعة المشكلة وفي ترددهم بين الإيمان ونفيه، ولكنهم يتمسكون بربط الظواهر الميتافيزيقية بجذور فيزيائية قد تكون مجهولة في زمن معين لكن التقدم العلمي سينجح في اكتشاف علاقة الميتافيزيقيا بالفيزياء عن طريق الإليكترونات والجسيمات الدقيقة سواء كانت ذرية أم أثيرية أو موجية أو كمية أو نبضية وكذلك يربطون الحياة في الخلايا الحية بعلم الأحياء الإليكتروني والجينات ويفسرون كل مظاهر الحركة والحياة على أساس مادي أو أي نشاط آخر منعكس عن المادة، وهذه هي نقطة الضعف التي كانت سبباً في رفض كثير من علماء المادة لضم الباراسايكولوجي إلى مجموعة العلوم، لأنهم لم يجدوا في الباراسايكولوجي المواصفات المنهجية التي يرتبط ويتحرك عليها العلم التجريبي مثل عدم القدرة على تكرار الحالة الخارقة وعدم دخولها المختبر ومنها كذلك صعوبة إيجاد نظرية موحدة لتفسير الظواهر والقدرات الباراسايكولوجية وبذلك شكَّك الكثير من العلماء التجريبيين في تفسيرات علماء الباراسايكولوجي لظواهر الباراسايكولوجي مثل تفسيرهم للتأثير عن بعد عن طريق موجات كهرومغناطيسية وقدرة هذا الوسط لنقل القدرات الخارقة.

ثانياً: <u>الباراسايكولوجي في مجال الدين والفلسفة</u>

١- <u>في مجال الفلسفة</u>:

تتفق الفلسفة مع الدين على وجود ذات قديمة واجب الوجود علة العلل مسبب الأسباب وهو الله وينسب إلى فيثاغورس أنه قال: «الحكمة لله وحده وإنما للإنسان أن يجدّ ليعرف وفي استطاعته أن يكون محباً للحكمة باحثاً عن الحقيقة.. وينسب إلى

سقراط كذلك أنه امتنع عن مخاطبة الشعراء والمشرعين والخطباء بالحكماء وقال: لا أسميهم حكماء لأن هذا الاسم عظيم لا يتصف به إلا الله وحده، وإنما أسميهم محبي الحكمة.. ويقول الفارابي: الحكمة معرفة الوجود الحق والوجود الحق هو واجب الوجود بذاته والحكيم هو من عنده علم الواجب بذاته بالكمال وما سوى الواجب بذاته ففي وجوده نقصان عن درجة الأول بحسبه فإذن يكون ناقص الإدراك فلا حكيم إلا الأول لأنه كامل المعرفة بذاته»[١٦] وهذه الآراء تتفق مع الدين حول وجود الله ﷻ إلا أن الدين يقرر هذه القضايا العقائدية عن طريق الوحي والفلسفة تقررها عن طريق التفكير العقلي. وتبدأ الفلسفة طريقها لمعرفة الحقائق عن طريق العقل والتأمل فتكون حركتها في مجال النظر وعندما تنتهي الفلسفة إلى إيصال الحقيقة إلى مجال التجربة والمنهج العلمي فتكون حركتها في مجال النظر وعندما تنتهي الفلسفة إلى إيصال الحقيقة إلى مجال التجربة والمنهج العلمي تكون القضية قد وصلت إلى مجال آخر غير الفلسفة.

وبذلك يقول الفيلسوف المعاصر برتراند رُسل: «فيكاد معظم المسائل التي لا يستطيع العلم أن يجيب عنها والتي تستثير اهتمام العقول المتأملة أكثر مما يستثيرها أي شيء آخر أن تكون من القبيل الذي لا يستطيع العلم أن يجيب عنه مثل: أيكون العالم منقسماً إلى عقل ومادة؟ وما العقل؟ وما المادة؟.. وغيرها وتلك أسئلة لا نستطيع الجواب عنها في المعامل.. ومهمة الفلسفة هي دراسة هذه المسائل، إن لم نقل أن مهمتها هي الإجابة عنها»[١٧] وعلى هذا الأساس تكون مباحث الفلسفة في مجال الإلهيات وأصل الكون والروح والعقل هي نفس مباحث الدين ولكن كما قلنا عن طريق آخر.

فتمثل الفلسفة في مجال دراسة هذه القضايا (فلسفة ميتافيزقية) وعندما تدخل الفلسفة مجال الميتافيزقيا فإنها تدخل مجال الباراسايكولوجي فإن الباراسايكولوجي يقع ضمن مجال عالم لا مادي ويؤثر تأثيراً واضحاً في المادة وتتفق الفلسفة والدين

والباراسايكولوجيا على لا مادية الظواهر الميتافيزقية ولكن الباراسايكولوجي يحاول أن يربط أو أن يجد علاقات تربط بين المادة واللامادة ويأمل أن يأتي اليوم الذي تكشف فيه العلاقة بين مفهوم الطاقة في الباراسايكولوجي والطاقة المتحررة من المادة وبين التأثيرات الموجية على الخواص الفيزيائية وبين القدرات الخارقة وتأثيرها على المادة.

ولكن الفلسفة تتعامل مع هذه المعضلات من زاوية أخرى فهي تقسم أطوار المعرفة البشرية على ثلاثة أطوار الأول السذاجة والسطحية والثاني الشك والتطلع لإدراك الحقيقة والثالث: القناعة والرضى بما توصل إليه العقل في معرفة الحقيقة. ففي الطور الأول حكيم أو مدعي الحكمة وفي الثاني محب للحكمة والثالث باذل كل ما في وسعه جرياً وراء الحقيقة قانع بما ينكشف له منها. ويتفق الدين مع الفلسفة في هذه المراحل ولكن الدين يحدد لعقل الإنسان حدوداً ويرسم له منهجاً ويطلب منه أن يتحرك بعقله ضمن حدود هذا المنهج وإلا يتجاوزها لكونه لا يستطيع إدراك المطلق لأنه محدود، فيوفر على العقل جهداً ويضع له مساراً للإنجاز الحضاري حيث مهمة الإنسان على الأرض هي الخلافة وهي الأمانة التي تحمَّلها الإنسان لعمارة الأرض بمقتضى منهج السماء. وتعرضت الفلسفة الميتافيزيقية أو فلسفة ما وراء الطبيعة إلى انتقادات حادة من الفلسفة الوضعية وهي نفس الموجة المضادة للباراسايكولوجي من علماء الطبيعة أو العلماء التجريبيين حيث يقول أحد الفلاسفة الوضعيين وهو أوزفلد كولبه: «وأهم ما يمتاز به المذهب الوضعي رفضه الميتافيزيكا – ما بعد الطبيعة – بحذافيرها واعتباره التجربة أصل وأساس كل معرفة»[١٨].

ويذهب الفلاسفة الميتافيزيقون إلى أن الفلسفة الوضعية لم تستطع حل المعضلات التي يثيرها العقل والتي لا يمكن تجاهلها. فلم تحل الوضعية مشكلة الموت وما بعد الموت ولا الروح والعقل.

وكما يدَّعي الباراسايكولوجيون عدم قدرة العلم التجريبي إنكار الواقعة الباراسايكولوجية فهناك معجزات، ظهور اختفاء، زائروا الليل، أصوات من حافات القبور، رفع الأجسام بقوة الإرادة، الشياطين، أرواح ضاربة، أرواح شريرة، إشارات من العالم السفلي، هذه وغيرها ستكون مادة تغذي مناقشات الأطباء النفسانيين»[١٩].

وكما تكرارها بحسب المنهج التجريبي فإن هذا لا يلغي وجودها في الواقع لكثرة حدوثها وتواتر شهودها كذلك يقول الفلاسفة الميتافيزقيون أن المشكلات الميتافيزيقية تدخل في صميم الوجود الإنساني وإنه لا غنى للإنسان عن أن يدرسها ويمحصها وأن الدعوة إلى إهمالها بحجة أننا عاجزون عن إدراكها، دعوة يقصد بها التمرد على القيم الروحية ولأرسطو بهذا الصدد عبارة خالدة يقول فيها: «إن من ينكر الميتافيزيكا يتفلسف ميتافيزقيا»[٢٠].

ونقصد بالدين الرؤية الإسلامية للظواهر الروحية اللامادية. وكما هو معروف أن الدين مجال واسع رحيب لحركة المفاهيم الروحية فإنه ابتداءً يقرر أن الوجود الإنساني مزيج من ثنائية الروح والمادة، وإن الروح سر تحدثت عنه النصوص بطريقة مختزلة وهذا شأن المنهج الديني في الحديث عن الغيب، فإنه يخبر بوجود عالم غيبي لكي يؤمن الإنسان بالعالم الآخر ويملك تصوراً عقائدياً عن هذا العالم، وتكون صورة هذا الغيب محصورة فيما يذكره النص. والعقل لابد أن يؤمن إيماناً تصديقياً بهذه الأخبار لأنها نقلت عن طريق صادق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو الوحي.

ويذكر الدين أن هناك جانباً روحياً أكثر أهمية في الإنسان من الجانب المادي الجسدي وأن هناك حياة بعد الموت ويؤكد أن العالم الآخر فيه ثواب وعقاب. وأن الإنسان مخلوق لخالق عظيم حكيم قدير.

وفي النصوص الدينية ذكر لعوالم أخرى تعيش مع الإنسان مثل الجن والملائكة وفي الحديث النبوي الصحيح يذكر أصل الجن النار وأصل الملائكة النور وأصل الإنسان امتزاج الطين مع الروح فكان الجن والملائكة من الطاقة والإنسان من مزيج المادة والطاقة الغيبية وفي النصوص الدينية أخبار عن قدرة العوالم الأخرى (الجن والملائكة) على التشكل المادي قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾ [مريم: ١٧] والجن كذلك هناك أحاديث تذكر قدرته على التشكل المادي الحيواني والبشري.

وفي حياة الناس أحداث وقعت تؤكد هذه الأخبار الدينية ولما كان الإنسان مزيج من المادة والطاقة فإنه يملك من القابليات والقوى ما لا يمكن ربطها بالطاقة الجسدية فقط أو التغيرات المادية خصوصاً أن الجانب الروحي في الإنسان أكثر أهمية بالنسبة للدين والعقل أيضاً. وفي الدين النظر إلى المفاهيم يختلف عن العلم أو الفلسفة ففي الدين ترد المفاهيم من خلال مرجعية استقر النظر إلى حقيقتها وصدقها وكل ما تخبر به هذه المرجعية يستقر كذلك بدون تردد، ولذلك في الدين تكون القضية مصاغة بالأسلوب الآتي: (تؤمن أو لا تؤمن) ببنما في مجال العلم يكون الأسلوب (تعلم أو لا تعلم).

قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ...﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فالدين يتعامل مع الإنسان بروحه وجسده ووعيه أما العلم فهو يتعامل مع العقل فقط. وعلى هذا الأساس يكون الدين مرجعاً مهماً في مجال الباراسايكولوجي؛ لأن الباراسايكولوجي يتعامل مع مجال القوى الخارقة الواعية فليس العقل ولا المادة ولا الحياة ولا الروح بصورة منفردة هي التي تفسر حركة هذه القوى وتأثيراتها وإنما اجتماع هذه العناصر كلها ينتج الظاهرة الباراسايكولوجية.

ولذلك عندما يتحدث القرآن عن ظاهرة الحسد يدعو الإنسان إلى اللجوء إلى الله الخالق لكي يحتمي به من شر هذه القوى وعندما يتعرض الإنسان لأضرار أو شرور، فإنه مطالب بالأخذ بالأسباب فالأمراض يستخدم لها الأدوية والإصابات المادية يأخذ لها حذرها حتى لا يصاب بها وإذا أصيب لابد من معالجتها أما في الحسد فيقول تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ... وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، فالحسد في الدلالة القرآنية قوى خارقة شريرة يدعو القرآن الكريم المؤمنين إلى اللجوء إلى الله والاستعاذة به من شرها وتعميق إيمانهم بقدرة الخالق العظيم.

ولا يمكن تفسير الحسد بمقتضى الأمور الخارقة التي يفسرها الدين ضمن اصطلاحاته الخاصة، حيث إن الدين يضع الخوارق ضمن ثلاثة أقسام الأول المعجزات وهي أمور خارقة للعادة يحدثها الله لأنبيائه في مجال تحدي الكافرين وإفحامهم.

والكرامة وهي الأمر الخارق للعادة يجربه الله لأوليائه ليس على وجه التحدي والقسم الثالث الاستدراج وهو الأمور الخارقة التي يجريها الله على أيدي الكافرين أو غير المؤمنين لكي يستدرجهم ويزدادوا تمسكاً بكفرهم لأنهم اتبعوا أهوائهم وشياطينهم. والحسد لا يمكن أن ندرجه ضمن أحد هذه الأقسام فلا هو كرامة ولا هو استدراج ولكنه فعل خارق يصدر من الإنسان لإيقاع الأذى بالكائنات الحية أو الأشياء، ولا يمكن أن نفسر الحسد بأنه تأثير إشعاعات أو طاقة تخرج من الحاسد إلى المحسود وذلك لأن تأثير الحسد يأخذ صوراً متعددة وغير منضبطة وغير محددة بزمن معين، فمثلاً قد يحسد إنسان إنساناً آخر لأنه يمتلك سيارة فاخرة فإن التأثير يأخذ احتمالات عديدة منها موت صاحب السيارة أو تعرض أمواله للخسارة أو عطل السيارة وليس التأثير مباشراً وإنما قد يأتي لاحقاً بفترة غير محددة وكل ما يمكن أن يقال أنه شر يأتي من غيب مجهول أمرنا الله الاستعاذة منه.

كل ذلك يؤكد لنا أن الجانب الآخر الذي يعرضه الدين وهو عالم الروح أو ما وراء المادة ينبغي أن يدخل كعامل مجهول. كحقيقة في التأثير على الوجود كله وليس على الإنسان وحده. ويمكن أن يلتقي التفسير الباراسايكولوجي مع الدين في عرضه للقوى الخارقة التي تملأ الكون. وفي القرآن الكريم عرض لقضايا لا يمكن أن تفسر إلا من خلال الباراسايكولوجي ففي قصة سليمان مع عرش بلقيس يعرض القرآن صورة من صور التأثير عن بعد أو ما يسمى في الباراسايكولوجي (سايكوكنيس Psycho kinesis) ويسميه العلماء التجريبيون (النقل الموجي للمادة) أو النقل الذري للمادة Teleportation ولكن هذا العلم لا يزال في مجال الخيال العلمي بالنسبة للعلماء التجريبيين. وفي قصة عرش بلقيس يعرض القرآن صورتين لنقل العرش: الصورة الأولى ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ والزمن هنا عدة ساعات وهي ساعات انقضاء المجلس والطاقة المستخدمة هي طاقة يملكها الجان الذي يعيش وفق قانون تكوينه الطاقي في الخلق (لأن أصله من نار) فالطاقة المستخدمة هنا هي طاقة الأسباب ومسبباتها بالنسبة للجن وهي تقارب مفهوم الطاقة في مصطلح العلم التجريبي.

الصورة الثانية هي في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ الزمن هنا صفر تقريباً أي بقدر إغماض العين وفتحها. العلماء المسلمون ليس لديهم ما يفسرون به النص سوى بعض الآثار التي يرويها أهل الكتاب أو ما توصلت إليه عقولهم بالنسبة لثقافة عصرهم.

فمنهم من قال: كان الذي عنده علم من الكتاب يعرف اسم الله الأعظم. ومنهم من قال: إن الذي عنده علم من الكتاب هو سليمان نفسه وأنها كانت معجزة له ﷺ. ولكن النص واضح ﴿الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ فالعلم والكتاب يدل على إن القضية

يمكن أن تفهم ضمن قدرات الإنسان الذي يحمل العلم والكتاب والعلم الحديث اليوم يتحدث عن قدرات الإنسان في التأثير عن بعد على الأشياء.

وفي القرآن الكريم صورة أخرى لا يمكن تفسيرها وفق التراث التفسيري ولابد من الاستفادة من العلوم لكي نتوصل إلى فهم النصوص القرآنية ونفسر الظواهر الغيبية التي تؤكد أثر القوى الخارقة الواعية في الوجود. وفي السورة صوراً عديدة لأحلام تنبؤية مثل رؤيا الملك التي أولها يوسف عليها ورسم لهم بموجبها السياسة الاقتصادية لمصر لمدة خمسة عشر عاماً، ورؤيا الفتيان اللذين كانا في السجن مع يوسف، وهذه القوى ليست وحياً أو انعكاساً للاشعور كما في نظرية فرويد كما وأنها لا يمكن أن تكون استرجاعاً لذكريات الماضي لأنها تتحدث عن المستقبل ولا يمكن تفسيرها بمقتضى العلم التجريبي أو حتى الباراسايكولوجيين التجريبيين لأن التفسير لابد أن يرتبط بمؤثرات موجودة في الحاضر أو الماضي وبما أن الرؤى التنبؤية تتحدث عن المستقبل وعن أحداث لم تقع فلا يمكن تفسيرها إلا من خلال العامل الروحي الذي يستمد وجوده من خارج الزمان والمكان بالنسبة للإنسان.

وفي مجال الرؤى التنبؤية يمكن أن توظف هذه الحوادث لإثبات عالم غيبي لا يخضع لقوانين المادة والدراسة المختبرية وفي هذا المجال يتخبط علماء المادة والعلوم الطبيعية في البحث عن تفسير علمي مقنع لهذه الظاهرة.

الخاتمة

١- إن الباراسايكولوجي جانب مهم ومجال عظيم من مجالات الإعجاز العلمي التي لا يستطيع إنكارها علماء المادة وهو خطاب معاصر يتبناه الكثير من العلماء وبالإمكان توظيفه لخدمة الدعوة والدين.

٢- إن الباراسايكولوجيين يعولون على التطور العلمي في مجال المادة وعلوم الحياة لكي يصلوا إلى تفسير علمي لظواهر القوى الخارقة، فهم في مجال المادة والذرة يتوقعون أن الإشكالات والألغاز التي تواجه العلماء التجريبيين ستدفعهم إلى التسليم إلى الباراسايكولوجي لكي يفسر المجاهيل العديدة في البناء الذري وتصرف مكونات الذرة المعقدة وحاول بعض العلماء التوفيق بين الفلسفة المثالية التي تؤمن بالروح وبين الفلسفة الواقعية التي تؤمن بالتجربة فقط فقال بوجود (شيء) ثالث لا هو بالمادة، ولا بالعقل ولكن صدر عنه الاثنان جميعاً. (ويظهر أن بعض العلماء لا يدري عن الموضوع أكثر من أن يجيب إذا سئل عن المادة بأنها غير العقل وعن العقل بأنه غير المادة. على أن العجز عن إدراك كنه المادة وتصورها على حقيقتها ليس مبرراً كافياً للقول بأنها والعقل شيء واحد.

وهذه صعوبة حاول بعض الفلاسفة التغلب عليها بافتراض وجود الشيء الثالث أطلق عليه (مادة – عقل))[٢١]. وهذه الإشكالية في المادة تتعقد في مجال الحياة وانبثقافها في المادة الميتة، ويحاول الماديون أو الوضعيون أن يفسروا الحياة بمقتضى العلوم الطبيعية ويعارضهم المثاليون أصحاب المذهب الحيوي ويؤكدون أن (الظواهر الحيوية لا يمكن أن تستقبل العلوم الطبيعية والكيميائية بشرحها شرحاً تاماً وبهذا قال دريش: (فيلسوف وعالم ألماني) بنظرية تثبت وجود قوى في الكائن الحي وغاية يتحرك دائماً للوصول إليها معارضاً في ذلك مذهب الميكانيكيين الذين قالوا: إن الظواهر الحيوية جميعها وليدة عوامل طبيعية وكيميائية بحتة)[٢٢] بالفعل. إن الصراع بين المثالية والواقعية وبين الفيزياء والميتافيزكس وبين الماديين والروحانيين تأثر بخلفية البيئة الغربية التي كانت تعيش الصراع بين العلم والأسطورة، ونشأ العلم على مرحلة تحطيم الأسطورة وبداية عصر التنوير، ولذلك كل الاتجاهات تحاول أن تبتعد عن كل ارتباط بنقيض العلم الذي يعني الخرافة والأسطورة ويعبِّر الباراسايكولوجي جان باري عن هذه الحقيقة بقوله: «يوفر لنا العلم الحالي وسائل ناجحة مثل الميكروسكوب الإليكتروني الذي يكبِّر الأشياء ١٢٠,٠٠٠ مرة والمايكروسكوب البروتيني الذي يكبِّر الأشياء مليون مرة ومجهزين بساعات إليكترونية تتطيع أن تجزئ الزمن إلى (١) بالألف من المليون / ثانية وإمكانيات فحص شامل ECG والـ EEG إذ أنها تتيح لنا دراسة السياقات التي كانت مجهولة حتى ذلك الحين. ومن خلالها يسعى الباراسايكولوجيين إلى تفسير ظواهر الإدراك الحسي الفائق وظواهر التأثير على الأشياء عن بعد»[٢٣].

وكل هذا يمكن أن يساعد على توضيح صورة أو حقيقة القدرات الخارقة ولكنه يعبِّر كذلك عن الخلط الذي يقع فيه الباراسايكولوجيون عندما يحاولون ربط الظواهر الخارقة بالتفسيرات المادية ويؤكدون الضعف الذي يتهم به التجريبيون في منهجيتهم لإثبات قضاياهم، فليس المنهج التجريبي هو الوحيد لإثبات الحقائق العلمية فقد يتمكن الباحث العلمي أن يعطي أهمية كبيرة جداً لمصادفات عشوائية للأحداث التي تتكرر بقدر من التواتر.

٣- ويمكن للباحث أيضاً أن يعتمد على تصورات أو تحليلات لبعض القضايا التي تؤكد آثارها صدق هذه التصورات وإن كان من المستحيل التعرف بصورة واضحة على الشكل الحقيقي للقضية كما توصل العلماء إلى رسم صورة للذرة وكيفية دوران الإليكترونات حول النواة ومكونات النواة.

وكذلك تصور العلاقة بين الدماغ والإدراك حيث يستحيل إعطاء صورة دقيقة وواضحة لعلاقة الإدراك أو الوعي بالدماغ وكيفية ارتباط أحدهما بالآخر. والخيال المنظم هو الذي يمنح البحث العلمي مكاناً خاصاً وسط الأنشطة الفكرية الأخرى ويدل على أصوله في الفلسفة والفن وهذا الاتجاه يؤكد أهمية الاستدلال في البحث العلمي هذا الاستدلال الذي يعتمد على التصور لا على التجربة (وقد استطاع جاليلو بوصفه عالماً رياضياً يقدر قوة البرهنة الاستدلالية وإن كان رافضاً لحجيَّة القديم أن يوفق بين الاثنين (التجربة والاستدلال) عن طريق إصراره على إنه بينما لا يمكن اختبار البديهيات اختباراً مباشراً. فإن التنبؤات المستمدة منها يمكن أن تصاغ في صورة تجربة نقدية مباشرة)[٢٤]، ومع الاستدلال نستطيع أن نضيف الاستقراء والتحليل والإحصاء كلها خطوات لصالح البحث العلمي الباراسايكولوجي.

وإذا كان البحث التجريبي يعتمد على القياس أو وجود آلات القياس والتقدير الكمي وأن تكون التقنيات والنتائج قابلة للتكرار في أماكن أخرى بواسطة باحثين آخرين وكل هذه الأمور يمكن أن تضاف وتساعد البحث الباراسايكولوجي في مجال قياس النشاط المادي فقط أما الجانبي الميتافيزيقي فغير خاضع للمقاييس أو الانضباط بالتكرار. ويمكن للتطور العلمي والتكنولوجي أن يساهم في معالجة الجانب الفيزياوي للباراسايكولوجي. ولابد من إيجاد فهم يربط بين الروح والمادة ورؤية علمية غير محددة بالمنهج المادي التجريبي يتحرك عليها علماء الباراسايكولوجي وفي هذه النقطة يمكن الاستعانة بالدين.

٤- بالنسبة للرؤية الدينية يمكن أن نتصور بأن النصوص الدينية الإسلامية التي تحدثت عن المجال الباراسايكولوجي أو القدرات الخارقة في الكون أعطت تصوراً إلى أن وجود هذه القدرات لا يتحدد في مجال التعاليم الإسلامية فقط وإنما أقرت النصوص بوجود الظاهرة ولم تربط بين الظاهرة وبين المنهج الشرعي الإسلامي وهذا يعني أن وجود الظاهرة لا يرتبط بالتكليف وإنما يرتبط بالتصورات أو التصديقات التي تمثل الجانب العقدي للمسلم فالعقيدة الإسلامية تفسر للمسلم الخوارق بالنسبة للأنبياء هي معجزات وللمؤمنين كرامات وغير المؤمنين يمكن أن يقال لهم خوارق ولا علاقة لها بحال الإنسان وسلوكه الديني، ولمن تجري له الخوارق أن يكون ملتزماً بالدين سلوكاً ومن خلال هذا المفهوم تتيح لنا العقيدة الإسلامية الإقرار بوجود قدرات خارقة للإنسان مهما كانت صفته الدينية وهذا التصور يفسر لنا ما يحدث من ظواهر باراسايكولوجية عند البشر عموماً وما يحدث في حالات (الخروج من الجسد OBG) و(الاقتراب من الموت NDE) وما يحدث من رؤى تنبؤية لدى البشر جميعاً وما يحدث من خوارق لأهل الرياضيات الروحية في الأديان الأخرى وما يحدث كذلك من ظواهر التنويم المغناطيسي والاتصال بالعوالم الأخرى، ولكن لابد من التنبيه على أهمية الاستعداد النفسي لدى الوسطاء الذين يؤدون هذه المهمات.

٥- وفي مجال الإسلام هناك حديث نبوي شريف يؤكد على قضية القدرات الخارقة لغير المسلمين. (وبني الإسلام كان أول من تناول بالنظر النقدي الظواهر الروحانية. وقد أورد البخاري وغيره من رواة الحديث وصفاً مستفيضاً لملاحظة الرسول ﷺ لشاب يهودي هو ابن صياد استرعت أحوال ذهوله أنظار النبي ﷺ فاختبره وسائله وفحص عن أحواله، واستتر النبي مرة بجذع النخلة لكي يسمع من ابن صياد تمتمه قبل أن يراه ابن الصياد فرأت أمه النبي ﷺ وهو مستتر بجذع النخلة فنادت ابنها فوثب ناقضاً عن نفسه حالته الذهنية فقال ﷺ: «لو تركته بيّن» وشهد بعض الصحابة هذا الاختبار النفساني الأول)[٢٥]. فالقدرات الروحية في الإسلام ليست لدى الإنسان فقط وإنما تشير النصوص إلى وعي حيواني وسلوكيات خارقة للنحل والطيور والحشرات وكذلك المادة الصماء فيها من الوعي ما يقارب قدرة الوعي الإنساني قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢] وهكذا نجد إن الوجود يمتلئ بالنبض الواعي اللامادي وكما يقول جان باري: «أنا شخصياً أعتقد أن كل شيء حي»[٢٦].

٦- من خلال مزج معطيات العلم الحديث مع الرؤية الإسلامية المنبثقة من النصوص والتي تمثل المرجعية الإسلامية (الكتاب والسنَّة) يمكن أن نؤسس مدرسة باراسيكولوجية عربية إسلامية؛ لأن بيئة الغرب لا يمكن أن تنتج فكراً إيمانياً يؤمن بالروح وبالخالق العظيم لسبب رئيسي هو هيمنة المادية والرؤية المادية على فلسفة العلم والمنهج العلمي، وهذا المنهج أثبت وجوده من خلال رفض الروح والإيمان بالله، وعلى الرغم من ظهور تيار ينادي بالعودة إلى الإيمان، ويستند إلى نتائج العلم الحيادية التي لا تحكمها الرؤية المسبقة المتأثرة بعقلية الصراع بين الدين والعلم ولكن هذا التيار مازال ضعيفاً. وإذا كان الباراسايكولوجي قد نشأ في البيئة الغربية فإنه متأثر بصورة أو أخرى بانعكاسات هذا الصراع، ولكن البيئة الثقافية العربية الإسلامية لم تترسب فيها هذه المؤثرات، فهي صالحة لبداية صحيحة باتجاه تأسيس هذه المدرسة وبالإمكان الاستفادة من كل إمكانات العالم التجريبي ومحاولات التيار المضاد للمادية من المثالية والمبدأ الحيوي والنظرة الجديدة للعلوم التي تؤمن بفكرة الخلق والحكمة والغائية للوجود. وقد وصل الغرب إلى ما وصل إليه بفضل حرية الفكر وعدم اليأس من المحاولة ونحن مطالبون بأن نأخذ من المدرسة الغربية ما ينفعنا في مجالات الحياة، فالحكمة ضالة المؤمن .وعلى هذا الأساس يمكن أن نركز فكرة البحث بما يأتي: من النظر في طبيعة المادة والحياة وتطورها وتطور البحث العلمي نجد إن الرؤية الغربية للباراسايكولوجي أسيرة الأثر المادي، وإذا كان التطور العلمي أوصل الفكر الغربي إلى التفكير في احتمالية وجود عالم لا مادي واعي، وأن العقل غير الدماغ وهو يمثل حالة مطلقة لا تتحلل بالموت وتحلل الدماغ. وكذلك عندما أدخل إنشتاين البعد الزمكاني (الزمان – المكان) إلى الأبعاد الثلاثة فغير الرؤية القديمة للعلاقات الرياضية والمفاهيم العلمية وحول مطلقات نيوتن إلى النسبية، وبناءً على ذلك نستطيع القول بأن الباراسايكولوجي وهو يتعامل مع القدرات الخارقة اللامادية بالنسبة للكون وبالنسبة للإنسان، فإنه يتعامل مع قدراته النفسية (Superpsycology) فإننا لا نستطيع أن نفهم هذه الظواهر إلا إذا أدخلنا العامل الروحي في الظاهرة، وبما إن العامل الروحي مجهول وغير ثابت وغير منضبط بضوابط المادة وغير محدود الطاقة وغير خاضع للزمان والمكان وهذه الصفات هي التي تساعدنا على تفسير هذه الظواهر التي يصعب وجودها، فهي تتحقق بشروط معقدة، وقد تكون غير معروفة حتى

بالنسبة للذي تحدث له الظاهرة كما في حالة الحسد أو التنويم المغناطيسي، فحصول الحسد قد يحدث خارج زمان ومكان الحاسد.

ومع صعوبة وجود الظاهرة الميتافيزيقية ولكنها شائعة إلى درجة التواتر، وفي القرآن الكريم تشير إلى تلاشي الزمان والمكان خصوصاً في حياة البرزخ وما بعد الموت، فيحدثنا القرآن عن اضطراب الناس في تقدير فترة بقائهم بعد الموت (يوماً أو بعض يوم أو ساعة من نهار يتعارفون بينهم أو ساعة أو نومة حيث يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥] ويقول كذلك: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] إشارة إلى الطاقة الهائلة التي يجهز بها الإنسان في العالم الآخر، وهذا يدل أيضاً أن تحرر الروح من الجسد يزيد من طاقتها وإن ارتباطها بالجسد يضعف طاقتها، وهذا يفسر لنا جانباً من الرؤى والأحلام التنبؤية حيث تتحرر الروح من الجسد جزئياً وفي الموت كلياً ويفسر لنا كذلك كيف يرى النائم أحداثاً لم تقع وتقع فعلاً في المستقبل مما يؤكد أن الروح تتجاوز الزمان والمكان واطلعت على الحدث خارج الزمان والمكان.

ونحن بهذه الرؤية نقدم خدمة للعلم ونحاول أن نخدم ديننا من خلال ربط العلوم العصرية وخطاب العصر بالخطاب الديني من أجل أن يزداد المؤمنون إيماناً، وينتصر الإيمان في مجال العلم على التعصب والهوى ونسأل الله تعالى أن يكتب الأجر على نيتنا ويوفقنا ويعصمنا من الهوى والتعصب فإنه يهدي للحق وإلى سواء السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش

(*) يعرف المهتمون بالباراسايكولوجي من العلماء بأنه كل نشاط روحي أو غير ممكن التفسير ويرتبط بوعي وقصد يصدر من الكائنات والموجودات الحية وغير الحية ولا يمكن إخضاعه للفحص المختبري أو الدراسة المادية ويتوقع الباراسايكولوجيون بأنه سيأتي زمان يستطيعون إثبات هذا النشاط بالأجهزة المختبرية.

(١) الباراسايكولوجية الجديدة غداً، جان باري، ترجمة: سعد هادي، ص٢٠- ٢١.

(٢) الباراسايكولوجية الجديدة غداً، جان باري، ترجمة: سعد هادي، ص٢٠- ٢١.

(٣) الباراسايكولوجية الجديدة، م. س، ص٢٢.

(٤) الباراسايكولوجية الجديدة، م. س، ص٢٣.

[٥] العلم في منظوره الجديد، روبرت أغروس وجورج ستانسير، ص١٦.

[٦] العلم في منظوره الجديد، م. س، ص١٦.

[٧] العلم في منظوره الجديد، م. س، ص١٣

[٨] المادة وأصل المادة ، موريس دوكين ، ص١٣ .

[٩] أسرار الذرة، أميد أمشك، ص١٠. (لقد تطور مفهوم الذرة في العصر الحديث وفق المسار الآتي:

١- تومسون تخيل الذرة كرة متجانسة تتوغل فيها الإليكترونات.

٢- جان بران قدم نموذجاً آخر تخيل فيه الذرة مثل مجموعة شمسية مصغرة.

٣- بعد تجارب رذرفورد المتعلقة بانحراف جسيمات ألفا ازداد وضوح صورة الذرة.

[١٠] م. س، ص١٣.

[١١] التطور، سفج، ص١٨-١٩.

[١٢] التطور، سفج، ص٢٧.

[١٣] ما أصل الإنسان إجابات العلم والكتب المقدسة، د. موريس بوكاي، ص٧٠-٧١.

[١٤] الباراسايكولوجيا، م. س، ص٥٩، ٦٠.

[١٥] الباراسايكولوجيا، م. س، ص٥٩، ٦٠.

[١٦] التفكير الفلسفي في الإسلام، د. سليمان دنيا، ص١٦-١٨.

[١٧] التفكير الفلسفي في الإسلام، م. س، ص٢١.

[١٨] التفكير الفلسفي، م. س، ص٢٩.

[١٩] الباراسايكولوجيا غداً، م. س، ص٢٤.

[٢٠] التفكير الفلسفي، م. س، ص٣٢.

[٢١] فلسفة المحدثين والمعاصرين، أ. وولف، ترجمة: أبو العلا عفيفي، ص٢٦.

[٢٢] فلسفة المحدثين والمعاصرين، م. س، ص١٠٢.

[٢٣] الباراسايكولوجي الجديدة غداً، م. س، ص٣٤.

[٢٤] العلم والمشتغلون بالبحث العلمي، د. جوان ديكسون، ص٧٢.

[٢٥] تحديد التفكير الديني، محمد إقبال، ص٢٤.

[٢٦] الباراسايكولوجي الجديدة غداً، م. س، ص؟؟؟.